

المقطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٣ - الموافق ١٢ رمضان سنة ١٣٢١

أقدم الآثار المصرية

للدكتور فلندرس بيري شأن كبير عند علماء الآثار المصرية لانه وسع تاريخ مصر
بمكتشفاته الكثيرة وارتفع كثيراً من غوامض تباخذه الدقيقة . وله انداد من علماء الآثار
يخالفونه في كثير من النتائج التي وصل اليها ولكنهم لا ينكرون عليه مقدماته ولا يخدونه
حقه من الأكرام . وقد اطعنا الآن على مقالة مسهبه له جمع فيها زبدة ما اكتشفه حديثاً
من آثار ايتدوس او العرابية المدفونة فاعتظنا منها ما يلي قال

” لقد اظهرنا آثار مقام من اشهر المقامات المصرية يتد تاريخه من ايام الملك الاول من
ملوك مصر الملك مينا الذي نشأ قبل المسيح بنحو ٤٧٠٠ سنة الى ايام الملك نخبورب الذي كان
سنة ٣٧٠٠ قبل المسيح . وهذه الآثار في طبقات متفدة بعضها فوق بعض كأنها صفحات
كتاب مكتوب

” الا ان الناظر اليها لا يدرك ما فيها ما لم يتعلم العلم الذي يرمز به رموزها اي
شقف الحرف وجوب الحرف وقطع الصوان ويعلم في اي عصر صنع كل منها والتعب في
اطلال المدن القديمة متلفه لتاريخها ان لم ينبه الناظر لكل ما يجده فيها من هذه الرموز
او الدلائل واما اذا اتبه لما حق الانبياء وكان عالماً بدلولها قرأ فيها تاريخها كما يقرأ
كتاباً مسطوراً ”

والفضل الأكبر في وضع هذا العلم وتوسيعه للدكتور بيري نفسه وقد اخذه عنه صديقنا
الدكتور فوردريك بلس وقرأ به تاريخ كثير من اطلال فلسطين . وتما يؤسف عليه ان الناظرين
في الآثار المصرية قلما يتنبهون لذلك . دعانا السيد مودجان لما كان مديراً لدار الآثار

المصرية لمشاهدة ما اكتشفه من الآثار في دهشور فأيناهُ ينزل إلى أعماق الأرض لبحث
عنا في مدائن الاموات من إكبنوز والعظام والظن أن مشرئته على وجهها وهو لا يلتفت إليها فقلنا
له في ذلك واستفنا على تركه تلك الكنوز العظيمة تلف بالنقب والنقل ويُجبل مكانها فصبوب
تولنا نكتة حسب أن الاتباه لها ليس من ولا يتد . ولو كان الدكتور يتري هناك لحرص على
تلك العظام وقطع النيران أكثر مما حرص ده مورجان على ما وجدته من فلانيد الذهب والعتيان
وقال الدكتور يتري في المقالة المشار إليها آنفاً "أني أسف كل الأسف لان الناشرين

في المقامات الكبيرة مثل هيكل ايدوس لم يشبهوا لما فيها مما يدل على تاريخها

"والظاهر ان ايدوس كانت أقدم عواصم مصر وكان هيكلها ينهدم ثم بنى هيكل جديد
على اطلاله فيتهدم ثم هذا بكرور الايام وبنى هيكل آخر على اطلاله وحلم جراً إلى ان توالى
آثار عشرة هيكل في ملامعته عشرون قدماً من الاتقاض وقد بقي قليل من اساس كل منها
وشيء من جدرانها

"وفي عهد الدولة الثانية من الدول المصرية جُمع ما في هذا المبكل من النذور القديمة او
المكسرة ووضع في غرفة واحدة كأنه نهاية المبكل وحطام ما فيه ثم وقعت عليه الاتقاض وترأكت
قرناً بعد قرن حتى بلغ ارتفاعها فوق خمسة امتار . وقد وجد كأس الملك مينا قرب حذو الحطام
فهي من عهد الدولة الاولى على الاقرب

"بلغت هذه الحطام وهي من العاج والخزف المدهون وجعلت ارفعها واحدة واحدة واعجب
بما فيها من بديع الصنعة . ورأيت العاج بالياً اذا مسكته يديك تنثر كالرماد فقطعت قطعة
كبيرة من التراب فيها كثير من قطع العاج ووضعتها على طبق ونقلتها إلى الغرفة التي احفظ
فيها الآثار وتركتها اسبوعين حتى جفت ثم مسكتُ قلماً من اقلام الشعر التي يصور بها
المصورون وجعلتُ انزع التراب عن العاج واستخلصت قطعة كلها ووجدت انها مصنوعة في اشكال
الاسود والدياب والسعادين والاولاد . ثم ظهر في ثوب انسان وبعد قليل وصلت إلى رأسه ووجهه
فاذا هو من ابداع ما تشتهه النقاؤون . ظهر امامي بعد ان لبث مدفوناً ستة آلاف سنة وعلى رأسه
تاج مصر العليا وعلى بدنه حلة موشاة . تتثال ملك من اقدم ملوك العالم واعظمهم شأنًا واشدهم
باساً تزري صناعته بصناعة الرومان . تحا كانه لطبيعة تامة لا يزيد عليها جمالاً ولا ينقص عنها
اعند الآ وحنا عنوان الاتقان في الصناعة وبلغ الكمال فيها . ولقد انحطت صناعة المصريين بعد
ذلك العصر فلم تعد تبلغه

"ولم يكن هذا التمثال مفرداً بل وجدت معه تماثيل اخرى من نوعه اخصها تتثال امرأة

والمحاكاة فيه للطبيعة تامة أيضاً حتى ملاحظ الوجه لا تفرق عما يرى عادة في النساء . ومنها تماثيل اولاد واقفين او ماشين او جالسين وكلها طبيعية لا تقليد فيها ولا متابعة لشكل مخصوص . وتثال دب رابض واسود مقبية وكلب كبير وهي تدل على ان الناقشين كانوا في ذلك العصر يدرسون الاشكال الطبيعية ويدققون النظر في اوضاعها وحركاتها وسكناتها ويحاولون مضاهاة الطبيعة كما هي . فعلمنا ان نعترف بان صناعة النقش نشأت منذ أكثر من سبعة آلاف سنة وبلغت حدها من الاتقان حينئذ ثم تجلّدت خمس نوبات بعد ذلك ولكنها فلما فاقت الحد الذي بلغتة أولاً ولم يكتف اوتلك الصناعات بمحاكاة الاشكال الطبيعية بل صنعوا من الآنية والموازين ما هو في حد الاتقان أيضاً فصنعوا الكؤوس والتوارير من اصلد الصخور من الحجر الاعبل والحجر السينائي والبرفير والبور والسج . ووجدت الآنية التي صنعوها في قبور ملوكهم وهي تدل على مهارتهم وعلى طموح ابيصارهم الى ما يعجز الصناع عنه مما لم يفهم فيه الذين جاؤا بعدهم ” ومهروا أيضاً في صناعة الخزف ودهنه بمادة زجاجية وترصيعه كما يظهر من كاس الملك مينا التي وجدت هناك فان عليها اسمه بدهان ارجواني وهو اقدم اسم من اسماء الملوك ووجدت حتى الان . ولا بد من ان يكون الملك مينا قد مسك هذه الكاس يدوم ورأى اسمه مكتوباً عليها واهدائها الى الهيكل الاول الذي اقيم في تلك العاصمة . فقد صنعت هذه الكاس قبلما حدث شيء من كل حوادث التاريخ التي نعلمها . قبلما بنيت الاهرام وولدتحنس وعميس وقبلما ظهر اليونان والرومان

” وكان المصريون الاقدمون يصنعون الزجاج الملون ويزخرفون به جدرانهم ويدنون به الاجر ويحلمون في اجرام حفرأتره فيها اسلاك من النحاس تربطها بعضها ببعض لتوثيقها في البنان . وعلى وجه الاجر اضلاع تمثل سوق البردي ورؤوسه حتى اذا بنيت بعضها فوق بعض ظهر نبات البردي منقوشاً عليها . والاجر ليس من قدر واحد ولا من شكل واحد بعضه مضاع كما تقدم وبعضه متعزز وبعضه في شكل الحصر وعلى بعضه كتابات مرصعة فيه ترصيعاً ” والكؤوس في شكل النيلوفر وهي تدل على ان اقتباس شكل النيلوفر لتيجان الاعمدة قديم جداً . ولون دهانها اخضر لغلله فقط ارجوانية وهو كذلك في كاس الملك مينا ولعلمها كلها من معمل واحد . وهناك اشياء كثيرة مصنوعة من الخزف المدهون كتماثيل الرجال والنساء والاولاد والاسرى والعبيد والتروود والطيور وذوات الاربع واشكال الحياكل وانواع الخرز وما اشبه كان صانعي الخزف كانوا يطعمون في تماثيل كل الاشياء الطبيعية والصناعية فيصنعونها من طين مزوج بالرمل ثم يدهنونها بدهان زجاجي

”وقد وجدت قرميذة عليها صورة امير من امراء الزنوج واسم بلادهم وهي حصن الانو. ومعلوم ان اسم الانوارد مراراً كثيرة في الآثار المصرية لان الحرب كانت مستمرة بينهم وبين المصريين القدماء وبقي المصريون يسمون في مثل اليوم الذي تغلبوا فيه عليهم الى آخر عهدهم. ثبت من هذه القرميذة ان الانو من الزنوج سكان السودان وان مسألة السودان قديمة تمتد الى عهد المصريين الاولين

”ووجدنا في غرفة اخرى كثيراً من التماثيل الساذجة ويظهر انها قديمة جداً اقدم من التماثيل المشار اليها آنفاً واقدم من عصرنا ولعلها وضعت هناك لانها لم تعد تصلح للبقاء في الهيكل بعد ان ارتقت الصناعة ففي اقدم من عصر التاريخ وبينها تماثيل السعادين ومنها ما هو حجارة طبيعية وجدت تماثيل نوعاً من الحيوان فاتخذت عوذة وحفظت كما هي او اُصلحت قليلاً حتى يتم شبيها بالحيوان الذي تشبهه. وبعضها من الصوان وهو كبير ارتفاعه قدما او ثلاث وكانه وجد في الصحراء مماثلاً في شكله لبعض انواع الحيوان فاتي به الى الهيكل رهبة منه او ليمتد به. والعقل الذي كان يتعامل بصور الموجودات ويشاءم بها لا يزال الى يومنا هذا يتعامل ويشاءم حتى في ارق مجامع الحضارة

”والظاهر ان الناس اصبوا الى صناعة النقش والتصوير من اهتمامهم باصلاح هذه الاشكال الطبيعية واني لاحد اول انسان قال بعمل التماثيل من اي حجر كان بدلاً من الانتصار على الحجارة التي توجد مماثلة لما فانه اول من كسر قيد التقليد ووسع المجال للعقل واقنع بأنه ليس عبداً للطبيعة بل سيد عليها. وليس هذه باول مبادئ الصناعة لان الانسان وجد في مصر قبل التاريخ بعصور كثيرة

”ووجدنا في تلك الغرفة رأس جمل مصنوعاً من الخزف. ولم يوجد رسم للجمل في القطر المصري قبل عهد اليونان مع انه كان معروفاً في بلاد الشام من عهد ابراهيم الخليل. ويستدل من هذا الرأس على ان الجمل كان معروفاً في مصر ايضاً على عهد الدولة الاولى من الدول المصرية. وما يجري هذا الجري انا وجدنا قطعة من الحديد بين قطع من النحاس من عهد الدولة السادسة التي كانت قبل المسيح بثلاثة آلاف واربع مئة سنة. وكان المظنون ان الحديد حديث الاستعمال لانه لم يوجد في ما هو اقدم من الف سنة قبل المسيح من الآثار المصرية ولاكثر استعماله الا في عهد اليونان اما الآن ثبت لنا ان المصريين عرفوا الحديد قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة

”ولا تقتصر هذه الآثار على تاريخ مصر القديم بل لتناول تاريخ اوروبا ايضاً فقد وجدت

منذ مدة قطعاً من الخزف اليوناني القديم في مدافن ملوك الدولة الأولى من الدول المصرية .
والآن وجدت في هذا المكان خزفاً أسود ليس من الخزف المصري في شكك بل من الخزف
اليوناني . أخذت قطعة منه إلى جزيرة كريت فوجدت بين القطع التي اكتشفها الدكتور ايغانس
في خرائب قصر كنوسوس قطعاً تشبهها تماماً شكلاً ولوناً ومادة وحقالاً . والخزف الذي وجد
في كريت يمتد تاريخه إلى العصر الطراني الحديث الذي كان قبل المسيح بأربعة آلاف سنة أو
أكثر فهو ينطبق على تاريخ المدافن المصرية التي وجد فيها هذا الخزف . فبدأ العمران الأوربي
متصل بمصر حين كان عمرانها في أوج مجده .

”ثم عثرنا على اسم خالد في التاريخ اسم الملك خوفو من الدولة الرابعة الذي بنى الهرم الأكبر
من أهرام الجيزة وفعل ما غاظ كهنة بلاده فأنفضوه وقالوا أنه أقفل كل المياكل ومنع المصريين
من تقديم القرابين وأمرهم أن ينقطعوا للعمل له . ونقل هيرودوتس عن الكاهن ميتران هذا
الملك كان مزدري في عيني الآلهة . ثم قال بعد ذلك أنه نسخ الكتاب المقدس الذي كان
المصريون يحترمون كثيراً . وبفهم من ذلك أن الرجل كان صالحاً ورعاً لكنه استغنى أموال
الأوقاف فقام الكهنة عليه وكفروه“

”وقد اكتشفنا تماثيل هذا الملك في خرائب هيكل أيدوس . فقد طرح في مخزن من
مخازنه كثير من التذوق والتماثيل القديمة طرحت في عهد الدولة السادسة على ما يرتجح فوجد
الفعلة بينها تماثلاً صغيراً جداً كالاصبع وكسروا رأسه وهم يتقبن واترني يده من غير رأس
فنظفت من التراب ووجدت عليه اسم خوفو ومن ثم استسهلت كل صعب في سبيل الوصول إلى
رأسه المقطوع . فألت العمال واحداً واحداً عن المكان الذي وضعوا فيه التراب وحدثت
الأماكن التي يجب أن نحصر بحثنا فيها وأخذت اغربل التراب غربلة حتى لا تفرني قطعة كرام
الاصبع . وجرينا على هذا المتوال يوماً بعد يوم حتى مرَّ الأسبوع الأول والثاني والثالث . وفي
آخر الأسبوع الثالث وجدنا وجهه تماماً لا يتقدم شيء وفي اليوم التالي وجدنا فتاً رأسه فتم
الرأس وتم التمثال كله فتمثال خوفو باني الهرم الأكبر اعظم ملك قام في المسكونة

”والناظر إلى هذا التمثال لا يسه الأ أن يستدل منه على اخلاق صاحبه فيرى ديو دلائل
السيادة والحزم والنظر في العواقب مما لم يتفقه فيه احد من ملوك مصر ولا من ملوك اليونان
والرومان . ولا شبهة في أن ملكاً أعطي هذه القدرة وهذه العزيمة يستبد بارو ويفعل ما لا يرضي
كثيرين ولكن نظرة واحدة إلى وجهه تنفي عنه كل فعل ذميمة فلم يستعمل استبداده إلا في
ما يصلح شؤون بلاده ولذلك أحله المصريون كههم للمحل الأول بين ملوكهم ولا يزال اسمه

منقوشاً على هياكلهم وفي مقالع المرمر وعى صخور جبل سيناء - ومقامه الاسمي في الهرم الاكبر الذي بناه وابني فيو ادق الاعمال التي عملها البشر في كل زمان ومكان

”لقد ارتاب البعض في ما قيل من ان خوفوا اقل الهياكل وانطلق الدبابيح ولكن خرائب هيكل ايدوس ايدت ذلك فقد وجدنا فيها انقاض هيكل من عهد الدولة الاولى وفوقها انقاض هيكل آخر من عهد الدولة الثانية والثالثة وليس فوقها انقاض هيكل من عهد الدولة الرابعة وغاية ما وجدناه من عيدها موقد عليو رماد مواد نباتية وكثير من التقدّمات المنصوبة من الخرف لا عظم بينها وهذا دليل قاطع على ان خوفوا اقل الدبابيح التسمية وابدلها بقرايين من الخرف لا قيمة لها تحفظ ثروة البلاد من التلف وبعد ايامه عاد الاسراف فبنيت الهياكل وقويت الدبابيح وتوالى ذلك وتزايد الى آخر ايام المصريين . فثبت ما قاله هيرودوتس ابو التاريخ عن هذا الملك العظيم ”احفرت اباراً كثيرة في تلك الانقاض الى ان عرفت تاريخها كله من اوله الى آخره لا من الحجارة المكتتبه لانها قليلة بل من شقف الخرف التي يحيا علماء التاريخ الان اعظم محل ولوداسها لصوص الآثار ولم يباوها . وقد قرأت فيها تاريخ اربعة آلاف عام في ما لا يزيد سمكها على عشرين قدماً من الانقاض“

برج ايفل وخزان اصوان

تكاد شهرة برج ايفل تفوق شهرة برج بابل ومع ذلك يفكر الفرنسيون في نزعها وبيع الارض القائم فيها لبناء البيوت ومد الشوارع . وهذا الفكر لا يحظر الأعلى بال الفرنسيين الذين يتوخون المغالاة في كل شيء فاذا ارادوا المجد والابهة بذلوا في سبيلها النفس والنفس واذا ارادوا النفع انحض سكون التماثيل قدوراً وصكوا النياشين نقوداً . فهم في مقدمة المنكيين في عهد المنكية وفي مقدمة الجمهوريين في عهد الجمهورية

وقد استشارت حكومة باريس لجنة من كبار المهندسين في امر الرحاب الضخمة المسماة شان ده مارس التي فيها برج ايفل وهي التي اتم فيها أكثر المعرض الاخير والمعرض الذي قبله فاشارت بتقسيمها وبيعها لبناء المنازل وقضت بتوزيع برج ايفل منها كما توزع قصر الصنائع حين انشاء المعرض الاخير لكي يسهن على المارين في الشارع الكبير شارع الاليزه ان يروا واجهة الانقاذ . والمعرض من ذلك مالي ويقال انه لا يختار من عجة الجمال لان البعض يحسبون برج ايفل من الثواب التي تشوه منظر اجمل مدينة سين الدنيا . والناس ادواق